

من قاعدة وقف إطلاق النار إلى هندسة القدرة الإلهية..

معادلة القوة في فكر الشهيد سلامي



٦ العميد رمضان شريف

في ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠٢٥، كانت شمس طهران الحارة تستطع على ميني «مركز الوثائق وأبحاث الدفاع المقدس وتضحيات حرس الثورة»؛ ذلك المكان الذي تنتفس فيه الذكريات المزة والحلوة لثماني سنوات من الدفاع، بين غرفه ورفوفه. كان «الفريق حسين سلامي، القائد العام لحرس الثورة الإسلامية» يمشي بين كُم هائل من الخراطم والأشرطة والمخطوطات، من دون أن يعلم أن ٧٢ ساعة فقط تفصله عن العروج إلى السماء. ثبت عينيه على أوراق التاريخ؛ لعله كان يريد، مرة أخرى، أن يسمع من بين تلك الوثائق وقع أقدام المقاتلين الذين ساروا، يوماً ماثلاً، بشجاعة نحو الخطر. في تلك الزيارة، وفي جمع زملائه ورفاق دربه في المركز، تحدث قليلاً؛ لكنه فكر كثيراً. كانت نظرتة نظرة رجل ذاق طعم النصر، واستشعر راحة الشهادة من مسافة قريبة.

بعد ثلاثة أيام (١٣ حزيران/ يونيو ٢٠٢٥) لاحت

المقننة:

الشهادة ليست نهاية طريق رجل؛ إنها بداية خلود مدرسته. إن الفريق الشهيد حسين سلامي واحد من تلك الشخصيات النادرة في تاريخ الثورة الإسلامية، التي كانت خالدة في ميدان العمل، كما كانت عميقة في التحليلات الاستراتيجية. لم يكن قائداً للمبشرين الصعبة فحسب، بل كان أيضاً منظرًا لـ«التجدد» و«الديناميكية» في مواجهة عدو يتغير شكله كل يوم. وفي ذكرى شهادته، فإن استعراض أفكاره -من قاعدة وقف إطلاق النار إلى هندسة القدرة الإلهية، ومن ضرورة الابتكار إلى عشق لباس الحرس- هو مصباح ينير الطريق أمام جيل يبني له أن يكون، في أي معاً، قوة دافعة في بناء الحضارة، والآن يكون خاسراً في الحرب المركبة الشاملة الدائرة اليوم.

القسم الأول: القواعد الكلية لمعركة الحق والباطل

١- **وقف إطلاق النار؛ هزيمة القوة الأقوى**
عندما يبرم وقف إطلاق النار بين قوتين غير متكافئتين، فإن معناه هزيمة القوة الأقوى. فلو كانت القوة الأقوى قد غلبت، لما رخصت لوقف إطلاق النار. وعلى هذا الأساس، ووقف أصل «الحفاظ على زخم الهجوم»، فإن من يكون في حالة غلبة لا يوقف الحرب.

هذه النظرة تقبل لكل الحسابات العسكرية للكالسيكية. إن الأعداء الذين سبوا سنوات طويلة إلى إيجاد «جبهة جديدة، وجغرافيا جديدة، واستراتيجية جديدة، وقوة جديدة» ضد إيران، باتوا اليوم أنفسهم عالقين في استنزاف ناجم عن تجاهل هذه القاعدة بالذات.

٢- الخط الأحمر للعدو: انتصارنا

«الخط الأحمر للعدو هو انتصارنا، لأنه لا يستطيع تحمله. عندما تنظر إلى الله، فإن هيبه وحجم أي قوة أمامه يصبحان حقيرين وصغيرين. العدو صغير، أصغر من بعوضة. هذه هي هندسة قوة العدو التي أُسِّمَت في الآية ٧٣ من سورة الحج».

لا مشكلة لدى العدو مع أي إنجاز علمي أو عسكري لنا؛ مشكلته هي «الانتصار» بمعنى تحقق الوعود الإلهية واستمرار الحركة الصاعدة لجبهة الحق. ومن هنا، فكما شعر بتراجع أو توقف في جبهتنا، تنفس الصعداء.

٣- الإيمان؛ مُبْدِئ الخوف وصانع معجزة عبور المسافات الفلكية

«إذا لم تخافوا من العدو، فتحركوا! الخوف يجلب التوقف. أما الإيمان فيزيل الخوف، والإنسان المؤمن لا يقعد عن العمل. إن تحقيق الأفكار الكبرى، وزيادة القدرة، واكتساب قوى جديدة بالنسبة للإنسان ممكنة فحسب، بل هو -بفضل اتصال جبهة الحق بمصدر القدرة الإلهية- أسير وأقرب إلى الوقوع. إن المسافات الفلكية التي كانت تفصلنا عن العدو في التكنولوجيا قابلة للعبور بسهولة، بل يمكن حتى تجاوز العدو والتقدم عليه».

إن التقدم في المجالات الصاروخية والفضائية والنووية والسيرانية والطائرات المسيّرة في إيران مصداق عيني

٨- إجبار العدو على الفعل التكتيكي؛ إنجاز القيادة

«إن أحد أكبر إنجازات قيادة قائد الثورة الشهيد (رض) هو إجبار العدو على النزول من المستوى الاستراتيجي والاستخباري، ودفعه إلى الفعل التكتيكي المباشر، وهنا ما أدى إلى استنزاف مخزون قوته واستهلاكها وإفراغها».

أي إن العدو الذي كان في يوم من الأيام يسعى، عبر تصاميم عالمية كبرى، إلى تغيير خريطة المنطقة، بات اليوم يلجأ إلى إجراءات موضعية، وممارسات تكتيكية منفصلة، وردود فعل عصبية. إن هذا النزول من المستوى الاستراتيجي علامة على العجز. وبفضل الله، فإن انتصار ورفعة إيران الإسلامية في الحرب المفروضة اليوم هما ترجمة لهذه النظرة الحكيمه وبعيدة النظر لقائد الثورة الشهيد (رض)، ولقائده الشجاع الشهيد سلامي.

٩- تضيق فضاء نفس العدو

«لقد استطاعت قوة الجمهورية الإسلامية أن تضيق فضاء التنفس السياسي والعسكري والثقافي للقوى العالمية، وأن تجعل حضورها في البلدان الإسلامية مكلفاً وقليلاً أكثر».

إن الحصار الجغرافي والاستراتيجي للأعداء، حتى في الذهن، حقيقة عينية في غرب آسيا؛ فمن العراق إلى لبنان واليمن وفلسطين... وإنما نظرت، نجد انعكاس تحقق هذه الحقيقة.

١٠- الانحطاط الأخلاقي والعقائلي لأمریکا

«اليوم لا يُرى أي عقلائية أو تدبير في الهيئة الحاكمة الأمريكية قادر على تطوير صورة أمريكا وجهها، أو منع سقوطها الأخلاقي».

هذا تحليل استراتيجي، لا حكم عاطفي. لقد كان انهيار الوجه الأخلاقي والمصادقية الاستراتيجية لأمريكا، في ميادين الحرب والنزاع والمواجهة، الأرضية الأساسية لانتصارات جبهة المقاومة.

القسم الثالث: هُويّة حرس الثورة ووظيفته في فكر الشهيد سلامي

١١- حرس الثورة؛ الفعل قبل الكلام

«حرس الثورة يُعرّف بعمله. إنّه يعمل أولاً، ثم يتكلم». هذا الأصل يُعرّف الهُويّة التنظيمية والثقافية لحرس الثورة؛ فهو مؤسسة تضع النتائج والميدان وتجنّب الشعارات الفارغة في صدارة عملها. والعدو الأمريكي -الصهيوني في هذه الأيام، وفي ميدان الحرب ضدّ الشعب الإيراني، في فهم هذه الحقيقة جيداً.

١٢- أولوية الحرب الجارية على التهديد الآتي

«الحرب الجارية لها دائماً أولوية على التهديد الآتي. لذلك، يجب أولاً ضبط الظروف الحالية، ثم حل المسائل».

هذا أصل خالص في إدارة الأزمات، كان الشهيد سلامي ينظر إليه بعين: فلا تنغمس في تهديدات المستقبل يجب ألا يؤدي إلى الغفلة عن معركة تجري اليوم.

١٣- القوة الإيرانية؛ منشأ شخصية حرس الثورة

«الشخصية القوية والمتينة لأفراد حرس الثورة هي جزء من القوة الإيرانية للحرس».

لا التدريب وحده، ولا المعدات وحدها، ولا التنظيم وحده كافية. ما يميز حرس الثورة عن سائر القوات المسلحة في العالم هو «القوة الإيرانية» التي تجرّي في الشخصية الفردية لكل عنصر في الحرس. إن تجلّي هذه الشخصية في الحريين المفروضتين الثانية والثالثة، في مشاهدات أُنقِ أفراد الحرس ومقاتلي الحرس المقتدر الشعبي عند منصات الإطلاق والختناق على امتداد ساحة القتال مع العدو، كان درساً وهداياً.

١٤- الفوارق؛ فلسفة وجود حرس الثورة

«نحن نجد فلسفة وجودنا في الفوارق وفي الخصائص التي تفتقدها سائر القوات المسلحة في العالم».

حرس الثورة يُعرّف هُويّته بما لا يملكه الآخرون: الضحية، والمعنوية، والشعبية، والولائية، والابتكار المبدئي.

١٥- الابتكار المستمر؛ شرط البقاء في الزمن

«حرس الثورة المبتكر والمتجدد لا يتوقف في الزمن، بل يتقدم مع الزمن وهو ديناميكي. إنّه يغيّر نفسه، لا حقيقته، بما يتناسب مع أحداث العالم».

إن التغيير في الأسلوب والبنية لا يعني التغيير في المبادئ والأهداف. فحرس الثورة، مع وفائه للأصول، يحدث أدواته واستراتيجياته بما ينسجم مع تحولات العالم.

١٦- مواكبة تغيرات العدو والتقدم عليها

«الاستراتيجيات في تغير مستمر. العدوي يتغير وضعه ويقاغه وسياسته وطريقته وأدواته باستمرار، ولا ثبات لديه. ومن الطبيعي جداً أن نغير نحن أيضاً بما يتناسب مع هذه التغيرات. نحن مضطرون ومحكومون بأن نتجدد باستمرار... حتى إذا كان ممكناً أن تصبح سرعة تغيرنا أكبر من سرعة العدو، والأفعلى الأقل نتحرك بموازاته».

هذه العبارة تمثل نظرية كاملة للشهيد سلامي حول «الديناميكية الاستراتيجية» في مواجهة عدو لا يبقى على حال واحدة أبداً. سُرّ بقاء الحرس هو هذا «التجدد» الذي لا يتوقف.

القسم الرابع: الشعب؛ الحرس؛ ومعادلة الحضور في الميدان

١٧- الدور المحرّك للحرس في دخول الشعب لساحة الميدان

«الشعب حاضر ومستعد لكل أنواع الدفاع عن الثورة؛ لكن مقدمة حضوره في الميدان هي «دخول حرس الثورة». إن دخول حرس الثورة إلى أي ميدان يوصل الشعب إلى هذا الاستنتاج بأن الموضوع ضروري تماماً، وقابل للإنجاز، وله سند. إن الإنجازات التي يحققها حضور الشعب في الميدان يعادل عشرات ومئات أضعاف إنجازات حرس الثورة؛ لكن إن لم يكن ما يقدمه الحرس موجوداً، فإن الشعب لا يُظهر إقبالاً. حضور حرس الثورة في الميدان يشبه الخميرة التي تُضاف إلى اللبن لتحويله إلى زبادي؛ مقدارها قليل، لكن أثرها كبير». هذه نظرية دقيقة حول «الدور المحرّك للشعب» في التعبئة العامة. الحرس لا ينجز العمل وحده، بل هو محرك يحرق الطاقة الشعبية الهائلة. إن حضور الشعب، في أكثر من مئة ليلة خلال هذه الأيام، في الساحات والشوارع دعماً للقوات المسلحة والمقاتلين المدافعين عن الوطن، وبيعة للقيادة المعظمة، وثأراً لقائد الأمة الشهيد، ولا سيما تعبيراً عن المودة لحرس الثورة، هو تجلٌّ لمصادقية هذه النظرية الدقيقة والذكية.

القسم الخامس: الوصية الوجودية؛ عشق حرس الثورة

١٨- لو وُلدت مئة مرة أخرى

«لو وُلدت مئة مرة أخرى في الدنيا، لاخترت حرس الثورة مرة أخرى. إن خطياً واحداً من لباس الحرس يتفوق على كل المناصب والمواقع السياسية والحكومية وغير الحكومية».

ينبغي أن نعدّ هذه العبارة وصية الشهيد سلامي العاطفية والهوياتية؛ عشقاً لا يصدر عن قلة معرفة، بل من عمق التصير والتجربة.

١٩- شاهدة القبر؛ خلاصة عمر من الثبات والجهاد في سبيل الله

«نحن بقايا جيل راسخ، متجذّر في أعماق الأرواح، رجال لم يرتجفوا ولم يخافوا قط في اللحظات الصعبة، ولم يرتجعوا أمام هيبه الحوادث».

هذه العبارة، المكتوبة على شاهد القبر الشريف للفريق في حرس الثورة الشهيد حسين سلامي، هي خلاصة عمر من الجهاد وهُويّة جماعية. «الجيل الراسخ» هو الجيل الذي عبر الأزمات، ولم يخف من الحوادث، وتجدد في كل مرة وعاد إلى الميدان أقوى.

القسم السادس: ماهية حرب اليوم؛ كل الساحات

ميدان قتال

٢٠- تغير ماهية الحرب من العسكرية إلى كل المجالات

«لقد تغيرت ماهية الحروب، وانتقلت من اشتباك الوحدات العسكرية المبدئية إلى جميع مجالات الحياة العادية. لقد أصبح الناس هدفاً للهجمات، وانتقلت طبيعة الهجمات من العسكرية إلى الاقتصادية والثقافية والسياسية وغيرها. لقد حوّل العدو كل موضوع إلى ميدان حرب».

هذه النظرة تجعل ضرورة «جهاد التبيين»، و«الاقتصاد المقاوم»، و«الأمن النفسي» و«البقطة» في مواجهة الحرب المركبة، مضاعفة. اليوم، في خضمّ الحرب العسكرية والإرهابية المفروضة من العدو، فإن العقوبات الخائفة، والعقوبات النفسية، والغزوات، والضغط الإعلامي، هي القنابل نفسها التي تهبط على رؤوس الناس العاديين بثياب ممّوهة.

وفي الختام، لابدّ من التأكيد على أن رسالة ذكرى استشهاد القائد الفريق حسين سلامي تذكر بهذه الحقيقة:

طريق النصر هو مواصلة «زخم الهجوم» من دون الالتفات إلى اتفاقات وقف إطلاق النار الكاذبة التي يطرحها العدو.

العدو، رغم كل هيبته الظاهرية، هو من منظور الهندسة الإلهية «أصغر من بعوضة». والعائق الجدي الوحيد هو خوفنا، الذي يبزله الإيمان.

في مواجهة جيش لا يعرف لإقاعدة «الغلبة»، يجب الاشتباك معه يداً بيد. أمريكا تخاف من المقاومة المباشرة، وليست مستعدة للمواجهة القريبة.

حرس الثورة هو الخميرة التي إن لم تكن موجودة، لا يُظهر الشعب إقبالاً. أما إذا دخل حرس الثورة الميدان، فإن ما يقدمه الشعب سيكون عشرات ومئات الأضعاف.

الأهم من كل ذلك: «نحن بقايا جيل راسخ»؛ جيل لم يرتجع أبداً، ولم يخف، ولم يرتجع أمام هيبه الحوادث. اليوم جاء دورنا لتكون ذلك الجيل الراسخ نفسه، في حرب تتحوّل فيها كل موضوع إلى ميدان قتال.

لنكن ذكرى الفريق الشهيد حسين سلامي مكرّمة، وليبقى طريقه عامراً بالسائرين، ومدرسه جارية، و«زخم هزيمة» مستمرّاً.

اللهم أرزقنا شفاعته واحشرنا معه.